والعلوم النافعة وما لا يعاب قائله واجيب عنه انهم لما نسبوا القران الى اساطير الاولين لمعنى
ليس بوحي من الله تعالى وانما هو اخبار مجردة كما تروى اخبار الاولين وقيل في معنى اساطير الاولين ترهات
الترهات وهي عند العرب طرق غامضة ومسالك وعرة مشكلة يقولون قد اخذنا في الترهات بمعنى
عدلنا عن الطريق الواضح الى الطريق المشكل الذي لا يعرف فجعلت الترهات مثلا لما لا يعرف ولا
ينتفع به من الامور المشكلة الغامضة التي لا اصل لها قوله عز وجل **وهم ينهون عنه** يعني ينهون الناس
عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم **وينأون عنه** يعني ويتباعدون بانفسهم نزلت في كفار مكة كانوا
يمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الاجتماع به وينهونهم عن استماع القران
وكانوا هم كذلك وقال ابن عباس نزلت في ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى المشركين
عن اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمنعه منهم وينأى هو بنفسه عن الايمان به يعني يبعد
حتى روي انه اجتمع اليه رؤوس المشركين وقالوا خذ شابا من اصبحنا وجها وادفع الينا محمدا فقال ابو طالب
ما انصفتموني ادفع اليكم ابني تقتلونه واربي لكم ابنكم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا
ابا طالب الى الايمان فقال لولا تعيرني قريش لاقررت بها عينيك وقال في ذلك ابياتا

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ... وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعرفت انك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا قد علمت بانه ... من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وقوله تعالى **وان يهلكون الا انفسهم** يعني لا يرجع وبال كفرهم الا عليهم **وما يشعرون** يعني بذلك
قوله تعالى **ولو ترى اذ وقفوا على النار** يعني في النار وقد يقع على موضع في كقوله على ملك سليمان اي
في ملك سليمان وقيل معناه اذ عرضوا على النار وجواب لو محذوف والمعنى ولو ترى الكفار الذين ينهون
عنك وينأون عنك يا محمد في تلك الحالة لرايت امرا عجيبا وموقفا فضيعا **فقالوا** يعني الكفار **يا ليتنا
نرد** يعني الى الدنيا **ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين** تمنوا ان يردوا الى الدنيا مرة اخرى
حتى يؤمنوا ولا يكذبوا بآيات ربهم فرد الله عليهم ذلك فقال تعالى **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من
قبل** يعني ليس الامر كما قالوا لو ردوا الى الدنيا لآمنوا بل ظهر لهم ما كانوا يسرون في الدنيا من الكفر
والمعاصي وقيل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين فلما قعدوا اشركهم وكفرهم
وكتموه فاظهر الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم بما كتموا وستروا من شركهم وقيل ظهر لهم ما
اخفوا من الكفر وعلى هذا تكون الآية في المنافقين **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون**
يعني في قولهم لو رددنا الى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين **وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا
وما نحن بمبعوثين** وهذا خبر عن حال منكري البعث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبر الكفار عن
احوال القيامة واهوالها وما اعد الله في الآخرة من الثواب للمؤمنين المطيعين وما اعد الله من العقاب
للكفار والعاصين قالوا يعني الكفار ان هي الا حياتنا الدنيا اي ليس لنا غير هذه الدنيا التي نحن فيها وما
نحن بمبعوثين يعني بعد الموت وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذا خبر من الله عن هؤلاء الكفار الذين
وقفوا على النار انهم لو ردوا الى الدنيا لقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قوله عز وجل
ولو ترى اذ وقفوا على ربهم يعني على حكم ربهم وقضائه وقيل معناه عرضوا على ربهم **قال
اليس هذا بالحق** اي يقول الله يوم القيامة هذا البعث والنشر بعد الموت الذي كنتم تنكرونه في الدنيا
وتكذبون به وتقولون لا بعث ولا نشر حقا **قالوا بلى وربنا** يعني انهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فاقروا وقالوا
بلى والله انه لحق وقيل تقول لهم خزنة النار بامر الله اليس هذا بالحق يعني البعث حقا فاجابوا بقولهم

بلى وربنا

٣٠٥

بلى وربنا قال ابن عباس للقيامة مواقف على عدد ذهم ففي موقف ينكرون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين
وفي موقف يعترفون بما كانوا ينكرونه في الدنيا **قال فذوقوا العذاب** اي يقول الله لهم ذلك والخزنة
تقول لهم ذلك بامر الله تعالى وانما خص لفظ الذوق لانهم في كل حال يجدون الم العذاب وجدان الذائق في شدة
الاحساس **بما كنتم تكفرون** يعني هذا العذاب بسبب كفركم وجحودكم البعث بعد الموت قوله تعالى
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يعني خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير الى الله تعالى وبالبعث
بعد الموت وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم في دار النعيم المقيم وحصول العذاب الاليم في دركات
الجحيم **حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة** يعني جاءتهم القيامة فجأة وسميت القيامة ساعة لانها
تفجأ الناس بغتة في ساعة لا يعلمها احد الا الله تعالى وقيل سميت ساعة لسرعة الحساب فيها لان
حساب الخلائق يوم القيامة يكون في ساعة او اقل من ذلك **قالوا** يعني منكري البعث وهم كفار قريش ومن
سلك سبيلهم في الكفر والاعتقاد **يا حسرتنا** يعني يا ويلنا والحسرة التلهف على الشيء الفائت وذكرت
على وجه النداء للمبالغة والمراد تنبيه المخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة **على ما فرطنا فيها** يعني في الدنيا
لانها موضع التفريط في الاعمال الصالحة والمعنى يا حسرتنا على الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها في دار الدنيا
وقال محمد بن جرير الطبري الهاء والالف في قوله فيها تعود الى الصفقة ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله تعالى عليها من ذكرها اذ كان معلوما ان الخسران لا يكون الا في صفقة بيع قد جرت ومعنى عليها
الآية قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم الايمان الذي يستوجبون به رضوان الله وجنته بالكفر
الذي يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لا يشعرون بذلك حتى تقوم الساعة فاذا جاءتهم الساعة
بغتة وراوا ما لحقوا من الخسران في بيعهم قالوا حينئذ يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وروى الطبري بسنده عن ابي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا حسرتنا قال يرى اهل النار منازلهم في الجنة فيقولون يا حسرتنا
وقوله تعالى **وهم يحملون اوزارهم** يعني اثقالهم **على ظهورهم** والاوزار الخطايا والذنوب واصل الوزر
الثقل والحمل يقال وزرته اذا حملته وانما قيل للذنوب اوزار لانها تثقل ظهر من يحملها قال قتادة والسدي
ان المومن اذا خرج من قبره استقبله احسن شيء صورة واطيبه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا
عملك الصالح فاركبني فقد طالما ركبتك في الدنيا فذلك قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا
يعني ركبانا واما الكافر فيستقبله اقبح شيء واننته ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك
الخبيث طالما ركبتني في الدنيا فانا اليوم اركبك فذلك معنى قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم
وقال عمرو بن هانئ يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل قبيح كلما راى هولا اصورته وقبحه زاده خوفا
فيقول له بئس الجليس انت فيقول انا عملك طالما ركبتني فانا اركبك اليوم حتى اخزيك على رؤوس الخلائق فيركبه
ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه فذلك قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج الثقل
كما يذكر في الوزن فقد يذكر في الحال والصفة يقال ثقل علي كلام فلان بمعنى كرهته فالمعنى انهم يقاسون
من الم عذاب ذنوبهم مقاساة ثقل ذلك عليهم فعلى هذا القول يكون قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم
مجازا عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل في معنى الآية ان اوزارهم لا تزايلهم كما تقول شخصه نصب عيني
اي ذكره ملازم لي **الا ساء ما يزرون** يعني بئس الشيء شيئا يحملونه وقال ابن عباس بئس الحمل حملوا قوله
عز وجل **وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو** اي باطل وغرور اي لا بقاء لها وهذا فيه رد على منكري البعث
في قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فقال الله ردا عليهم ومكذبا لهم وما الحياة الدنيا الا
لعب ولهو وهل المراد بهذه الحياة حياة المؤمن والكافر او احدهما ان المراد بها حياة الكافر لان المؤمن
لا يزداد بحياته في الدنيا الا خيرا لانه يحصل في ايام حياته من الاعمال الصالحة والطاعة ما يكون سببا
لحصول السعادة في الآخرة واما الكافر فان كل حياته في الدنيا وبال عليه قال ابن عباس يريد حياة اهل
الشرك والنفاق والقول الثاني ان هذا عام في حياة المؤمن والكافر لان الانسان يلتذ باللعب واللهو ثم عنه

١٠١

Copyright ... University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)